

أنغ لي: أوديسته «أكاذيب الدولة» الأميركية



في الوقت الذي تتزايد فيه المخاوف من تناقضات دونالد ترامب، وشخصيته المتقلبة والإشكالية، يأتي فيلم «الشوط الأول الطويل في مسيرة بيلي لين» في التوقيت الملائم. لدق ناقوس الخطر. إذ يذكر بالظن التي أضررتها «الأكاذيب الرسمية» لإدارة جورج بوش الابن...

مشهد من «الشوط الأول الطويل في مسيرة بيلي لين»

دور الكومبارس على الخشبة، خلال وصلة غنائية لبيونسي، على هامش مباراة كرة القدم المذكورة، تتكشف للمشاهد تدريجاً البشائع التي اقتربها الاحتلال الأميركي في العراق. نشاهد مثلاً إعدام رب عائلة والديه بتهمة التامر ضد الجيش الأميركي، مجرد العثور على كتاب يحمل صورة صدام حسين في بيتهم رغم احتجاجات العائلة بأن الأمر يتعلق بكتاب مدرسي، وأن كل الكتب المدرسية العراقية لا تخلو من صور صدام! إلى جانب بشائع الحرب، يرصد الفيلم في قالب تراجي - كوميدي الأكاذيب الرسمية الأميركية بدءاً بقائد الجيش الذي يوهم جنوده الشباب، الذين كانوا قد وصلوا للتو إلى ساحة المعركة، بأن رشق الشبان العراقيين لهم بالحجارة لا ينم عن معاداتهم للاحتلال، بل سببه أن الجيش الأميركي أعاد بناء المدارس العراقية التي هدمتها الحرب. لذا يتعرض المراهقون لدورياته، لأن الشباب في تلك السن يكرهون المدارس بطبعهم! مروراً بالأسلوب الفج الذي تفاوض به الاستديوهات الهوليوودية ببيلي ورفاقه للظفر بامتياز اقتباس قصتهم البطولية سينمائياً، مشترطة موافقتهم لتعديل وقائع القصة بما يوافق هوى الجمهور. يفاجأ ببيلي لاحقاً بأنه سيصبح في الاقتباس السينمائي جندياً تلعب دورها هيلاري سوانك، في حين كان يامل أن يتقمص مات ديمون أو ليوناردو دي كابريو دوره على الشاشة! وصولاً إلى اعتراف حاكم تكساس للجنود، في جلسة خاصة، على هامش الاستعراض الكروي في دالاس، بأن سماحه بالتفتيش عن الغاز الصخري، رغم دافعه الجشع المالي، بل الرغبة في إعفاء الشبان الأميركيين من أمثال ببيلي ورفاقه، مستقبلاً، من مخاطر حروب كنتك التي خاضوها في العراق. ما يدفع أحد الجنود للتعليق ساخراً: «لكننا كنا نعتقد أن هدف الحرب السيطرة على أسلحة الدمار الشامل لا على النفط العراقي!».

في مطلع عام 2005. يرصد الفيلم وقائع 24 ساعة في حياة ببيلي ورفاقه، خلال إحدى تلك الجولات الدعائية، حيث ينتدبون للتحديث أمام الجمهور، أثناء الفاصل الإعلاني بين شوطي مباراة هامة في كرة القدم الأميركية تجري في دالاس. شيئاً فشيئاً، تنفضح «أكاذيب الدولة» المحيطة بتلك البطولات الوهمية. يكتشف المشاهد أن ببيلي ورفاقه اضطروا للتطوع في الجيش، ليس للدفاع عن القيم الأميركية ونشر الديمقراطية في العالم، كما تزوج الدعابة الرسمية، بل لكونهم يتحدرون من عائلات فقيرة يعاني جميعها من مشاكل مالية خانقة، بحيث لا يجد أبناؤها وسيلة لمواجهة سوى التجنيد.

يروى العمل قصة وقوع جنود أميركيين في كمين في العراق

تنصدر قصة بسالة ببيلي ورفاقه في فرقة «برافو» وسائل الإعلام الأميركية، التي تصورهم كأبطال قوميين. تغتنم قيادة الجيش الفرصة لتنظيم جولات دعائية مطولة لهم عبر المدن الأميركية، للترويج لبطولاته المزعومة، أملاً في أن تغطي بذلك على فضائح وبشائع الاحتلال الأميركي للعراق، التي كانت ورائها المقيتة قد بدأت تزكم الأنوف، آنذاك



بما يؤهله لاكتساح شبك التذاكر. يأتي هذا الفيلم، الذي بدأت عروضه في الصالات العالمية أخيراً، في توقيت موات للغاية. توقيت لم يكن ليخطر في بال المخرج حين شرع، قبل ثلاث سنوات، في اقتباس قصته من رواية للكاتب الأميركي، بن فاونتن، كانت قد صدرت عام 2012. في الوقت الذي تتزايد المخاوف عبر العالم من الشطط والتقلب اللذين يتسم بهما أسلوب حكم الرئيس الأميركي الجديد، دونالد ترامب، يعيد هذا الفيلم إلى الأذهان «أكاذيب الدولة» التي شكلت حجر الزاوية في السياسة الأميركية في ظل إدارة جورج بوش الابن.

يروى الفيلم قصة الجندي الأميركي ببيلي لين، ورفاقه الخمسة في فرقة النخبة «برافو»، الذين وقعوا في كمين نصبه «متطرفون» في بلدة معزولة قرب ديالي، في العراق، أثناء

باريلس - عثمان تزغارت

ينتمي السينمائي التايواني المقيم في الولايات المتحدة أنغ لي (1954)، إلى صنف نادر من السينمائيين (سبيلبرغ، سودربيرغ، الأخوان كوهين...)، الذين يضعون قدماً في السينما الهوليوودية وأخرى في السينما المؤلف المستقلة عن هيمنة الاستديوهات الكبرى. في كلا الصنفين، أبدع المعلم التايواني وتالف. فقد نال أوسكار أفضل مخرج عن فيلمين متتابعين تماماً في موضوعيهما وسامتهما الإخراجية والأسلوبية: راعته الحميمة والجريئة «جبل بروكباك» (2005)، التي حازت أيضاً «الأسد الذهبي» في مهرجان البندقية»، و«حياة بي» (أو «أوديسته بي» 2012) الموجه إلى الجمهور العريض، وقد نال أيضاً أربعة أوسكارات أخرى بما فيها أفضل إخراج.

شكلت هذه الازدواجية لازمة في مساره. بعد راعته الإنكليزية الحميمية «العقل والعواطف» (1995)، قدم «النمر والتنين» (2000)، وهو فيلم حركة من صنف الكونغ فو نصبه على عرش شبك التذاكر العالمي. ثم ارتقى أكثر في أحضان هوليوود، بفيلم مقتبس من المسلسل التلفزيوني «هالك Hulk» (2003). لكنه سرعان ما عاد إلى سينما المؤلف برأعته الأشهر «جبل بروكباك» (2005). وبعد تحفة حميمية أخرى هي «شهوة وحذر» (2007)، عاد وقدم «حياة بي»، وهكذا دواليك... حتى أن البعض لقبه بـ «براهما السينما» (راجع الكادر أدناه)، أسوة بالآله الهندي الذي شطر روحه إلى نصفين، ليولد منها «فيشنو»، إله البناء، و«شيفا»، إله الهدم!

وإذا بالمعلم التايواني يحقق في فيلمه الجديد «الشوط الأول الطويل في مسيرة ببيلي لين» (113 د. 2016) معجزة تكاد تكون إلهية: فقد التأم شطرا روحه هنا في عمل يحمل بصماته الأسلوبية كواحد من أقطاب سينما المؤلف، ويلاعب في الوقت ذاته أوتار الاستعراض الهوليوودي،

«براهما» التايواني

بين الأفلام الحميمية والاستعراضات التجارية، إلا أن تيمته الأثيرة، المتمثلة في عقدة الذنب المتولدة عن الصراع بين العصرية والتقاليد، حافظت على مكانة مركزية في كل أعماله. هذه التيمة عبّر عنها أنغ لي في قالب سوسولوجي متشابه في فيلميه «النمر والتنين» و«العقل والعواطف» بالرغم من أن الأول تدور أحداثه في الصين خلال القرن الثامن عشر، بينما تندرج قصة الثاني في إنكلترا خلال العهد الفيكتوري. ثم عبّر عن الانشغال ذاته من خلال قصص حب إشكالية محاطة بالكثير من التمزق وعقدة الذنب في ثلاثية شهيرة بدأها بـ «شاهد العرس» الذي يروي قصة شاب تايواني مغترب في نيويورك يضطر للارتباط ظاهرياً بفنانة صينية لإخفاء مثليته عن والديه المقيمين في تايوان. ثم عاد لطرق التايو ذاته في «جبل بروكباك»، من خلال قصة حب مثلية بين اثنين من رعاة البقر في بيئة محافظة في الغرب الأميركي. واستكمل هذه الثلاثية بـ «شهوة وحذر» الذي صوّر وقوع طالبة صينية مناهضة للاحتلال الياباني لبلادها، عام 1938، في قصة حب مع ضابط ياباني تم تكليفها باغتياله!

عثمان...

أنغ لي، الذي ولد في تايوان عام 1954، عرف الشهرة دفعة واحدة. باكورته «تدافع بالأيدي» (1992) نالت جائزة أفضل فيلم في مهرجان السينما الآسيوية، وفيلمه الثاني «شاهد العرس» (1993) افتك «الدب الذهبي» في مهرجان برلين، مما فتح له أبواب العالمية، فانتقل، بداية، إلى إنكلترا، حيث أنجز رائعة وضعته في مصاف كبار صناع سينما المؤلف عبر العالم، وهي «العقل والمشاغرة» (1995) التي خولته الفوز بـ «الدب الذهبي» ثانية في برلين عام 1996. ثم لم تلبث أن اجتذبت هوليوود، ليقدم عبرها فيلم الكونغ فو الشهير «النمر والتنين» الذي تصدر شبك التذاكر العالمي، وحاز أوسكار أفضل فيلم بلغة أجنبية، عام 2001. منذ تلك الفترة، انشطرت روح «براهما السينما»، كما يلقب، إلى نصفين: أحدهما انغمس بنجاح في الاستعراض التجاري الهوليوودي، بينما بقي النصف الآخر وفيماً لسينما المؤلف التي خرج من معطفها.

في كلا الصنفين، عرف أنغ نجاحاً ملفتاً، حيث حاز «الأسد الذهبي» في مهرجان البندقية» مرتين، وفاز بثمانية أوسكارات. وبالرغم من الازدواجية الناجمة عن تقبله باستمرار